

جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب - قسم الفلسفة

التصوف والتجربة الروحية منها

أبي حيان التوحيدي

دراسة في الإشارات الإلهية

رسالة تقدمت بها الطالبة

شيماء هاشم عذير نصار الخزعلي

الى مجلس كلية الآداب الجامعة المستنصرية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة
الماجستير في الفلسفة

بإشراف

أ.د. ناجي حسين جودة

مستخلص البحث

يمثل التصوف جزءاً كبيراً من تراث المسلمين ومن تاريخهم، فالدارس للحضارة الإسلامية، وللتاريخ الإسلامي سوف يواجه بمساحة واسعة لهذا الجانب البارز في حياة المسلمين باختلاف الأزمنة والأمكنة .

يرى بعض الناس إن التصوف يمثل الجانب الروحي عند المسلمين ويرى بعضهم انه السبيل لتحقيق السعادة ، كما ان التصوف ليس ظاهرة خالصة ، بل إن جذوره ، و عروقه تمتد في أي فكر ديني عموماً .و الذين تحدثوا عن التصوف والصوفية اختلفوا في أصل الكلمة واشتقاقها ، كذلك اختلفوا في نسبة الصوفية اختلافاً كبيراً ، وان المؤيدين والمعارضين للتصوف لم يتفقوا على نسبة للتصوف ، كما أن الصوفية أنفسهم لم يتفقوا على شيء من ذلك .

وقد مرّ التصوف بعدة مراحل فكان في بداية نشأته تصوف يمارسه مجموعة من الصوفية الذي كانوا يلتزمون بقواعد الشرع الإسلامي من القران الكريم والسنة المطهرة ، وكان ذلك في القرن الثاني الهجري ، فتكونت آنذاك ثلاث نظريات شكلت أساس التصوف الإسلامي هي نظرية الطريق الصوفي ، وفكرة الحب الإلهي ثم أصبح بعد ذلك أن مرّ بعدة ادوار ، تصوف فلسفي يعمد أصحابه إلى مزج أدواقهم الصوفية بأنظارتهم العقلية مستخدمين في التعبير عنه مصطلحاً فلسفياً ، فتكونت بذلك عدة نظريات هي (الفناء ، والحلول ، والإشراق ، ووحدة الوجود ...) .

وإذا ما انتقلنا إلى أبي حيان التوحيدي سوف نجد انه من اكبر الشخصيات التراثية إشكالاً ومجلبة للحيرة وان إشكالاته تتوالى وتتراكم ، ومن هذه الإشكالات الأشكال الخاص بمولده ووفاته واصله وعقيدته والتناقض الشديد في نعته وأوصافه .

وقد جاء التوحيدي إلى التصوف كثرة مجالسته العلماء بالرغم من أن بذور ميله للتصوف كانت ماثلة منذ سن الشباب على يد شيوخه أبو سعيد السيرافي وأبو الحسن العامري ، وجعفر الخدي .

وكان قبل تحوله الصوفي يرى أن الزهد في الدنيا لا يصح ولا سبيل للانسلاخ من الدنيا ؛ لأنه خلق فيها وعمرها ، وعليه فلم يكن صوفياً في مراحل حياته لكنه مال إلى هذا

قرأ التوحيدي الكثير من مصنفات الصوفية وروى العديد من أقوالهم ، فهو يروي لنا
المئات من أقوال الصوفية في مصنفاته ، وهو لا يكتفي بذكرها وإنما يزيد عليها تعليقات
يعبر عن إعجابه بها .

عرف التوحيدي بكثرة مخالطة الصوفية ، وممارسة الطقوس الدينية معهم ، فكان
ذلك من الأسباب المهمة التي كان لها الأثر الكبير في تحول حياته فيما بعد إلى الاتجاه
الصوفي والذي مثل أحد الأركان المهمة في ثقافة التوحيدي إلى جانب الأدب واللغة
والفلسفة وغيرها .

أقدم التوحيدي على تقديم ثمرات عقله وروحه للنار ، فكان ذلك إيذاناً منه
بتصوفه على نحو فعلي؛ لان التجرد من ممتلكات الدنيا شرط من شروط التصوف ،
فالغالب على أصحاب هذه الظاهرة (إحراق الكتب) تكون نتيجة لتغير في أفكارهم .

تتجلى معرفة التوحيدي بالتصوف من قبل في رسالته التي كتبها في العلوم حيث
أفرد للتصوف حيزاً خاصاً ، تحدث فيها عن حد التصوف ، وما لحق الطريقة الصوفية من
فساد نتيجة كثرة الدخلاء عليها .

وكان من نتيجة اخفاقه في إقامة العلاقات الاجتماعية التي تمكنه من التكيف مع
المجتمع ، فضلاً عن اخفاقه في دعوة الناس إلى هجر الدنيا والتوبة إلى الله من الأسباب
التي دفعت التوحيدي إلى الإحساس بالغرابة ، فقد وصف لنا الغريب في عدة مواضع من
مؤلفاته ، فضلاً عن رسالة كاملة ضمن كتاب (الإشارات الإلهية) تحدث فيها عن وصف
الغريب بنحو خاص ومن السهل أن نكشف أن هذا الغريب هو التوحيدي نفسه .

أجاد التوحيدي في المناجاة وغيرها من ضروب النثر الصوفي كالدعاء والخطاب ،
وما يتفرع عنه من وعظ وإرشاد ونصح ولوم وتقريع وتحذير ووصف وكثير من
الموضوعات الصوفية .